النشاط الثقافي في الوطن العربي

من مراسلي "الآداب"

ج.ع.س

من مراسل « الآداب » محيي الدين صبحي

●●●

شيء لاطفالنا ...

من الافضل ان نضاعف الى ما لا نهاية وسائل العناية بأطفالنا ، ما دام كل جيل يتخلى عن تبعاته ويلقيها على الاجيال التالية ، متأكدا بيقين لا يدعمه أي سند من بينات الوقائع القائمة ، بأن لا بد من ان تتحقق في المستقبل آمال الامة في الوحدة والحرية والاشتراكية ، حتى ولو لم يساهم أي جيل في التنازلات الحتمية لاية وحدة من أي نوع .

من الافضل ان نعد اطفالنا منذ الآن لاننا لم نجد من يعدنا ولا اجدنا ـ نحن العرب ـ العناية بأنفسنا لمجابهة الاخطار المحيقة بنا من كل جانب : ومن انفسنا بالدرجة الاولى ..

وهذا ما يدفعني الى الحديث عن « مسرح العرائس » ومجلة « اسامة » باعتبارهما الشيئين الوحيدين اللذين يستحقان الحديث في صدد البحث عما نقدمه لاطفالنا ـ ما دام التعليم النظري ما زال يغلب على مؤسساتنا التربوية بحيث نضيع ، عن عمد ، مستقبل اطفالنا ونخلق منهم شبانا يحملون شهادات لا تصلح لشيء !

***

مضت عشرة اعوام على تأسيس مسرح العرائس . فقد تأسس عام ١٩٦٠ باشراف ثلاثة من الخبراء اليوغوسلاف . ويبدو ان يوغوسلافيا قد اخلصت النصح لسوريا ، اذ ان احد هؤلاء الثلاثة ـ المخرج بوجو كوكوليا ، وهو ايضا خبير في فن تحريك العرائس ـ كان احد اثنين من ابرز المخرجين في العالم في مهرجان مسرح العرائس الذي اقيم في زغرب عام ١٩٦٩ .

لم يعمل الخبراء اليوغوسلاف سوى عام واحد أخرجوا خلاله سبع مسرحيات مع اعداد الدمى والديكور والثياب والتحريك ـ بعد عام ١٩٦٠ حصل الانفصال ، وقرر المسؤولون آنذاك ان لا حاجة لهم بخبرة اليوغوسلاف فعاد هؤلاء من حيث أتوا ..

أنهي عمل الخبراء قبل ان يستطيع هؤلاء الاصدقاء أن يهيئوا الكادر الذي يستطيع أن يسير بالمسرح سيرا طبيعيا ، وقبل ان يرسل أي شخص للتخصص في الاخراج لمسرح العرائس او صناعة العرائس او تحريكها . كما ان الفنيين الستة الذين لازموا الخبراء وتعلموا قليلا منهم ، شتتوا في مجاهل وزارة الثقافة فحرم مسرح العرائس من الاستفادة من خبرانهم ما عدا واحد ارسل للتدريب في مسرح العرائس في القاهرة لمدة ستة اشهر . ولم يستطع المسرح ان يوظف خبرات هذا الموفد بسبب انشغاله بتبديل الديكورات اثناء العرض واصلاحها وقطع غيارها لعدم وجود من يقوم بهذا العمل ..

من هذه المقدمة السريعة نستطيع ان نأخذ فكرة عن حالة مسرح العرائس والمستوى الفني للقائمين بشؤونه ، اذا اضفنا ان المتدربين « القدماء » هم الذين يدربون المختصين « الجدد » ، مع النص بأن معظم القدماء تركوا عملهم ، وبانه لم يجر انتقاء القدماء ولا الجدد على أي اساس من موهبة او ثقافة او تدريب متخصص !

ظل هذا المسرح المسكين تسع سنوات بعد انشائه يتنقل على مسارح المدارس المختلفة دون ان يجد من يجد له مقرا يستطيع ان يباشر عمله فيه بشكل جدي ثابت ومتواصل .

في عام ١٩٦٩ استولت وزارة الثقافة على قبو فسيح في معهد الحرية وحولته من مستودع للمقاعد التالفة الى مسرح للعرائس ـ ونم ذلك بمنحة من السيد رئيس مجلس الوزراء قدم فيها عشرين الف ليرة لاعداد المسرح وتجهيزه على قدر الامكان ، كما ساهمت وزارة الثقافة بشراء الاوائل الفنية الضرورية ـ لكنه مع كل ذلك ما يزال يحتاج الى طبقة عازلة في ارضه وسقفه مع تجهيزات اضاءة وتهوية واطفاء ومولد كهربائي .

بعد اعداد المسرح هذا الاعداد المتواضع ، نجح نجاحا يكاد يكون اسطوريا . وسبب ذلك يعود الى بادرة طيبة وان كانت قليلة المثال . ذلك ان وزارة التربية تعاونت مع وزارة الثقافة : نظمت ادارة المسرح حفلتين صباحيتين للطلاب ، ورتبت لادارات المدارس الابتدائية ادوارا لكل مدرسة ، بحيث يظل المسرح مليئا على الدوام كما ان كل مدرسة تعرف الوقت المحدد لاطفالها . وجعل ثمن تذكرة الدخول (٢٥ ق. س) مع تنازل وزارة الثقافة عن ٢٠٪ من الكراسي مجانا للاطفال المعدمين الذين لا يستطيعون الدفع ـ مع العلم بأن المبلغ زهيد جدا اذا أخذنا في اعتبارنا ان الطفل يرى المسرح مرة واحدة في العام اذا اقتصر مجيئه على مرافقة مدرسته في دورها ـ وان كان تأمين باصات لنقل الاطفال يقع حاليا على ادارات المدارس ، ويا حبذا لو اشترت وزارة الثقافة باصين كبيرين لهذه الغاية ، خاصة وان المدارس في ضواحي دمشق واطرافها المتعددة اكثر عددا من مدارس العاصمة نفسها . وهذا ما يجعل دمشق قادرة على ان تستوعب مسرحين بدلا من المسرح الواحد . فاذا علمنا ان الاقبال في المحافظات اكبر من الاقبال في العاصمة ادركنا شدة الحاجة الى تحقيق الشعار « مسرح للعرائس في كل محافظة وفي كل قضاء » . وقد نظم المسرح جولات سنوية مسح خلالها انحاء القطر بأكمله وعرض حفلات في الهواء الطلق حضرها الطلاب في الباحات والريفيون من على السطوح . وهذا ما يؤكد الظاهرة التي تكررها كل الكتب المكرسة للموضوع ، من ان مسرح العرائس بخفته وقدرته على التنقل وروح الدعابة فيه يمكن ان يتغلغل الى اعمق اعماق الريف ويعالج اخطر الموضوعات ، مما يجعله عاملا ممتازا من عوامل التوعية وخاصة في الدول المتخلفة ، لذلك تستخدمه الجمهورية العربية المتحدة على نطاق واسع ، وتعنى به الدول الاشتراكية اشد العناية . وهناك ملاحظة خاصة ، هي ان مسرحنا اخف من المسرح المصري لانه يعتمد على عرائس القفاز وليس على عرائس الخيطان ، لسهولة حركة الاولى فضلا عن قلة نفقات التجهيزات واكلاف السفر ، اذا قارناه بتجهيزات المسرح العادي ومشليه . كما ان التدريب على مسرح العرائس أسهل نسبيا من جميع انواع التسلية ـ التثقيف الاخرى ، مما يجعل تعميمه في الريف امرا واردا. وذلك بتدريب المعلمين الريفيين على بعض المسرحيات .

فاذا اضفنا الى ذلك كله ان مسرح العرائس ارخص مسرح فني في العالم تبين لنا شدة حاجتنا اليه . ويعود رخص أكلافه الى ان اية مسرحية من مسرحيات العرائس لا تستهلك استهلاكا كاملا ، بالمعنى الذي تستهلك فيه بقية السلع المعروضة على المتفرجين ، فالمسرحية تبقى محفوظة في المستودع وجاهزة للعرض ما دامت الدمى موجودة بملابسها وديكوراتها . وهذا لا يتيح فقط امكانية عرضها في محافظات اخرى ، وانما يمكن عرضها هي ذاتها على المسرح ذاته بعد خمس سنوات من عرضها الاول ، باعتبار ان الاطفال يكبرون ويأتي بدلا منهم « جمهور » جديد . كما ان بامكان أي لاعب ان يؤدي أي دور بشيء بسيط من التدريب والتلقين .

هذا هو مسرح العرائس في دمشق ، وهذه هي ازمته ، وهذه هي

امكانياته . اما كيف يمكن تطوير المسرح وحل ازمته واستغلال امكانياته ، فالطريق الى ذلك واضح من خلال عرض المشكلة . ان النقص في الفنيين يمكن ان يعالج بانتقاء عناصر موهوبة فنيا وايفادها للتخصص والاطلاع . ويمكن ان يرصد المبلغ اللازم لذلك بالتعاون مع وزارة التربية ومع هيئة الاذاعة والتلفزيون .

والحقيقة ان الاموال التي تنفقها الهيئة على برامج الاطفال في الاذاعة والتلفزيون بحاجة الى اعادة نظر من حيث التوزيع : فالتلفزيون يقدم يوميا نصف ساعة « كرتون » من اعداد محلي واجنبي . لكن مسرحيات العرائس التي يقدمها التلفزيون تتصف اجمالا بالركاكة ، على الرغم من ان مقدميها افراد يعملون في مسرح العرائس . ويكاد ضعف البرنامج ان يكون شاملا من حيث الموضوع والاخراج وتناسق الدمى ـ يتساوى الفيل والارنب في الحجم احيانا ـ وفي مستوى تحريك اللعبة بحسب الحوار . ولا ريب في ان سبب ذلك السرعة في الانتاج وسوء اعداد اللاعبين ، فبينما يخفي المسرح عيوب اصواتهم خلال جوه والالوان والاضواء ، يبرز التلفزيون هذه العيوب ابرازا فاضحا . ويمكن للتلفزيون ـ الفني نسبيا ـ ان يساهم في تطوير مسرح العرائس بأن يستخدم على نفقته خبيرا او خبيرين في هذا الفن يقومان باعداد لاعبي وزارة الثقافة لمصلحة التلفزيون . كما ان على التلفزيون ان يفيد من مسرحيات العرائس في وزارة الثقافة . والخلاصة ان التنسيق الذي تم بين الثقافة والتربية فكان من عوامل انجاح المسرح ، يجب ان يكرر بصورة أشد بين الثقافة والتلفزيون .

نبقى اخيرا مشكلة النصوص وكتابها ، وهنا ، كالعادة ، تفتعل ازمة لا محل لها في الظروف الحرجة لمسرح العرائس : فبالرغم من اننا امة تفتقر الى ادب الاطفال والتخصص فيه وانشاء تقاليد له ، فان وزارة الثقافة تدفع لكاتب نصوص الاطفال اقل مما تدفعه لاسمار المسرح العادي ، اما هيئة التلفزيون فتدفع نصف سعر المسرحية العادية . بالطبع ، ان من يقومون بهذا الاجراء يحتجون له بصغر حجم العمل الفني بالمقارنة مع المسرحيات الكبيرة ، وقلة الوقت و .. الخ غير اننا اذا حكمنا أبسط قوانين العرض والطلب في موضوع مسرح لا يجد نصوصه، نجد ان من مصلحة الوزارة والتلفزيون رفع التسعيرة ، الى اعلى حد ممكن بحيث يمكن اجتذاب الكتاب والحصول منهم على النصوص الجيدة المطلوبة . فمن نافل القول ان نعيد بأن كل عمل المسرح يعتمد على النص المشوق الجيد التوجيه ، وبأن من يضع النص من حيث الاهمية في كفة والمسرح كله في كفة اخرى لا يخطىء الحساب كثيرا . ان تسليم المحاسبين تقييم الاعمال الفنية اهمال من كل مسؤول لواجباته في تحكيم ثقافته ومعرفته بالحاجة الملحة في المسرح الى نصوص . ان الكتابة والفكر في هذا البلد بحاجة الى اعادة تقييم شامل من وجهة نظر حاجة المجتمع والمؤسسات الثقافية الى من يتابعون تغذيتها بابداعهم وفنهم . اما هذه النظرة المحاسبية فلا تؤدي الا الى انصراف الكتاب عن الانتاج وبالتالي تجميد المسرح وتتفيهه واقتصاره على النصوص المترجمة ـ ان وجد من يجيد الانتقاء .

ان ازمة الكتاب لا تقتصر على المسرح عامة او مسرح العرائس خاصة ، بل تنسحب بحدة على مجلة « اسامة » التي انهت عامها الاول بنجاح ليس له مثيل فعلا . فهي تطبع خمسين الف نسخة دون مرتجعات ! وتستلم يوميا اكثر من خمسين رسالة من قرائها الصغار ، مع العلم بأن كل نسخة مباعة تقرأ من اكثر من أربعة اطفال ، ولو تمكنت وزارة الثقافة من شراء مطبعة ملونة خاصة بها لتضاعف المبيع دون اية مبالغة . ومع ذلك فالمجلة تعاني فقرا حادا في ادب الاطفال بسبب عدم وجود هذا النوع من الادب قبل صدورها ، ولان عدد الكتاب في سوريا قليل اجمالا بالنسبة الى المؤسسات الثقافية الكثيرة التي تتناهبهم ، ولو انها لا تعاملهم المعاملة التي يريدونها . المهم ان البيئة الثقافية لا تمتلك تقاليد ولا اهتمامات بأدب الاطفال . وكل فكرة لنا عن الموضوع هي من احتكاك الكتاب بالسابقات المصرية ، وان كانت مصر بالذات تعاني من هبوط في مستواها الذي كانت عليه قبل عشر سنين او اكثر . لكن الغريب في الامر ان جدة هذا الميدان لم يغر الادباء على اقتحامه. فما عدا القصاص زكريا تامر الذي أعطى في هذا الحقل انتاجا متفوقا، نكاد لانجد اسما ثانيا يثابر على المشي في هذا الطريق الجديد . غير ان المجلة اذا لم تستطع ان تجعل من الادباء كتاب أطفال فقد نجحت في تقديم رسامين مشهورين تقديما جديدا ، بحيث أن رسوم نذير نبعة او نعيم اسماعيل او ممتاز بحرة هي رسوم متخصصة بالاطفال على ارفع مستوى ـ فضلا عن ان المجلة كشفت موهبتين لا سابقة لهما في هذا الحقل ، وهما الفنانان غسان السباعي وطه الخالدي . بل ان تأثير المجلة في القطاع الثقافي بأكمله يفوق مايعترف به العاملون في هذا القطاع ، فهي ـ كما لاحظ رئيس تحريرها الكاتب المسرحي سعد الله ونوس ـ قد اضطرت الكتاب لمراجعة عاداتهم الفكرية والتعبيرية ، وكانت حافزا لان تكشف أهمية قطاع الطفولة في تكوين مجتمعنا . ذلك ان مئات الرسائل ترد اثر صدور كل عدد تستعرض بدقة متناهية كل هفوة لغوية أو فنية مع استفسارات من الذكاء بحيث تكشف مدى دقة الطفل المتلقي وحساسيته . بله انها تكشف لنا الى أي حد نجرم في حق اطفالنا حين نعرضهم للتأثيرات الضارة من الاذاعة والتلفزيون والصحافة . ان هذه النواقص المتعددة يجب ان تكون وسيلتنا لتمهيد تشكيلنا الفكري ومسؤوليتنا تجاههم . لقد نجحت المجلة في خلق خط فكري متبلور يمكن تلخيصه بانه يهدف الى خلق جيل عربي تقدمي ذي نظرة علمية ومعرفة بالتاريخ دون تهويل . كما انها تحاول ان تخلق عند الطفل عادة المحاكمة النقدية من خلال ربط وعيه ببيئته وظروفها ومشكلاتها الاجتماعية والسياسية والتاريخية. ان هذه الخطوط الصعبة العريضة تضغط على العاملين فيها وتجعلهم يستشعرون بالتقصير حين يقارنون بين ما يمكنهم تحقيقه وبين مايصبون اليه .

ان مشكلة الطفل في سوريا هي انه محاط باطار متخلع سواء أفي البيت أم في المدرسة ، ففي شعب متخلف تسوده السلطة الابوية الجاهلة ، غالبا مانكون المدرسة ليست أفضل من البيت ، لانخفاض سوية المعلمين الابتدائيين وضعف تأهيلهم : فمعظمهم من حملة الشهادات الاعدادية أو الثانوية او حتى من خريجي معاهد اعداد المعلمين من الذين يتطلعون الى استثمار مبكر لمعارفهم البسيطة .

المطلوب من المجلة ان تساعد الطفل على تجاوز كل هذا بتنمية ملكات الفهم والحكم والنقد لديه ، تمهيدا لدفعه الى الثورة على آثار تربية متخلفة وتعليم قاصر يعتمد الكمية ويكاد ان يهمل النوعية . وانها لرسالة ينوء بعبئها جهاز المجلة ـ يقتصر على محررين فقط ! ـ كما يترنح تجاهها اخلاص الكتاب الذين يتعلمون كيف يكتبون للاطفال دون ان يصلوا حتى الان الى مرحلة انشاء حوار بينهم وبين الاطفال . انافي كتاباتنا لهم مانزال كبارا يتحدثون الى كبار بشكل مبسط . ولردم هذه الهوة يجب ان تتسع مشاركة الكتاب وتزيد شيئا فشيئا حتى ينشأ الكاتب المتخصص للمجلة والكاتب المتخصص للمسرح .

دمشق — محيي الدين صبحي

فلسطين

كتب الشاعر محمود درويش في مجلة « الجديد » التي تصدر باللغة العربية في حيفا يتحدث عن محاولات اللقاء التي تجري بين الادباء العرب والادباء العبريين في الارض المحتلة ، وكان مما قاله :

لقد شعرت « منظمة الكتاب العبريين » ، لعدة اسباب ، انها ماضية في ممارسة أثم ادبي . الرأي العام في الخارج يتساءل عن وضع المواطنين العرب في اسرائيل وعن وضع ادبائه . انهم يتجولون ـ بحرية ـ بين الاعتقال والاعتقال المنزلي واوامر الاقامة الجبرية! ويصرخون ويحتجون ، ومنظمة الكتاب الرسمية في البلاد لاتعرف او لا تريد ان تعرف شيئا . وقبل مدة ، بادر عدد من الكتاب العبريين

الاقامة الجبرية لمحمود درويش

* * *

نشرت الصحف العربية في اسرائيل ان الشاعر محمود درويش تلقى امرا جديدا من قائد المنطقة الشمالية في اسرائيل الجنرال مردخاي غور يفرض عليه الاقامة الجبرية في حيفا نهارا والاعتقال المنزلي ليلا واثبات الوجود في مركز الشرطة في الساعة الرابعة من بعد ظهر كل يوم ، ويخوّل الشرطة حق « زيارته » في اية ساعة تشاء من ساعات الليل !

ومدة هذا الامر ستة شهور ونصف تبدأ من اول اذار ١٩٧٠ . والجدير بالذكر ان امر الاعتقال المنزلي السابق ضد محمود درويش والذي كانت مدته تسعة أشهر قد انتهى في أول آذار الماضي ...

الانسانيين الى اجراء حوار في حيفا ، مع الادباء العرب المضطهدين. وكانت للحوار اصداء واسعة قد يكون احدها مبادرة منظمة الكتاب العبريين الى الاجتماع بالكتاب العرب حول مائدة مستديرة حافلة بالشراب والسندويتشات في « بيت الاديب » في تل ابيب .

من المكاسب التي احرزتها مبادرة منظمة الكتاب هو انها استطاعت ان تصدر لنا تصاريح سفر الى تل ابيب . وكان ذلك فرصة لتندر احد الكتاب الساخرين فكتب ان الحكم العسكري قد الغي ليوم واحد. وجاء الكتاب العرب الى تل أبيب التي تبدو لهم كما تبدو باريس للاسرائيليين . ولعل قدرة منظمة الكتاب على اباحة هذه الفرصة النادرة لنا من بين الاسباب التي دفعتها الى اتخاذ قرار بكتابة رسالة احتجاج الى رئيسة الحكومة تحتج فيها على اوامر الاقامة الجبرية المفروضة على الكتاب العرب .

كان ذلك هو النتيجة العملية الوحيدة التي اسفر عنها حوار شديد القسوة والصراحة استغرق خمس ساعات اتفقنا بعدها على الا نتحدث عن امكانية الاتفاق ، والا نحلم به ما دامت امامنا صفوف طويلة من الخلافات الفكرية والايديولوجية العميقة .

لماذا ؟

ان نوعية الجانب اليهودي من الاجتماع ، في غالبيتها ، صهيونية بلا مواربة . وتؤمن حتى النخاع بحتمية السيادة اليهودية المطلقة على فلسطين . وبعد ذلك ، لامانع لديها في ان يتمتع السكان العرب في اسرائيل بالمساواة في الحقوق . وهي ترى ان المسؤولية عن استمرار الصراع العربي الاسرائيلي الدامي لا تقع على السياسة الاسرائيلية ـ الصهيونية المتنكرة لحقوق الشعب العربي الفلسطيني والمتطلعة الى التوسع الاقليمي . المسؤولية كلها تقع على تنكر العرب لحقوق الشعب اليهودي وعلى رفضهم الاعتراف بالسيادة اليهودية المطلقة على فلسطين . والكثيرون من هؤلاء الادباء يريدون اختبار واقعية الاديب العربي بالتسليم للامر الواقع والكف عن التمسك بحقوق شعبه الفلسطيني ،وبتنديده المتلاحق بكل يد ترتفع على اسرائيل وبعمليات المقاومة في المناطق المحتلة وبالاعتزاز باسرائيليته .

وكانت نوعية الكتاب العرب ، في غالبيتها ، تقدمية تؤمن بامكانية التعايش بين الشعبين اذا انطلق الجانبان من الاعتراف بحقوق بعضهما البعض ، ومن ان التمسك بسيادة قومية واحدة مطلقة على فلسطين ستبقى العلاقات العربية ـ الاسرائيلية في دائرة الدم . وان الارهاب العربي الذي تتحدثون عنه لا يجب ان يشغلنا بالظاهرة عن السبب .ان استمرار الاحتلال والتنكر لحقوق مليون انسان هو الذي يخلق المقاومة.

لقد كان هذا الاجتماع الاول بين ممثلي منظمة الكتاب العبريين وبين مجموعة من الكتاب العرب بمثابة مواجهة فكرية شديدة الصراحة والعنف ساعدت الجانبين على الاعتقاد بجدواها لان الاديب العبري ادرك حقيقة قضية الاديب العربي ، وان هذه القضية في جوهرها ، ليست المطالبة بتصريح سفر الى تل أبيب وبحرية شخصية . انهـا قضية شعب . »

المغرب

بوادر نشاط ثقافي

* * *

مناظرة اتحاد كتاب المغرب عن « الفكر في القرن العشرين » ، وزيارة الشاعر الكبير عبد الوهاب البياتي ، وصدور مجلة « ٢٠٠٠ »: تلك كانت أهم الاحداث التي حركت الحياة الثقافية في المغرب خلال الاشهر الثلاثة الاولى من سنة ١٩٧٠ .

لقد تعود اتحاد الكتاب من قبل ، ان ينظم محاضرات ، وان يقيم أمسيات شعر ، لكنها كانت تدخل في نشاطاته العادية ، التي تقول فقط للذين ينسون : « ان هنا اتحاد كتاب » . لكن مناظرة الفكر في القرن العشرين التي استمرت من اخر يناير حتى النصف الاخير من مارس ، كانت شيئا آخر ، الى حد ان « دار الفكر » مركز الاتحاد التي كانت تشكو الفراغ دائما . قد اصبحت هذه المرة تضيق بالعدد الكبير من المثقفين . ذلك ان المناظرة اعدت جيدا ، واستهدفت طرح كثير من القضايا الحساسة للنقاش ، بمشاركة كوادر حزبية ، وأساتذة الجامعة ، ومثقفين واضحي الرؤية .

وقد كانت المناظرة تتعلق بنوع من المسح لكل التيارات المعاصرة في الادب والفلسفة والاقتصاد .. والايديولوجيات . وهكذا شهد المغرب عشر جلسات وخمسة عشر متحدثا وجمهورا كبيرا ضاقت بدرجات كلية الاداب ، وكلية العلوم ، ودار الفكر ، وايضا منافشات خصبة . وخلال هذه الجلسات كانت الموضوعات المطروحة متنوعة، فهي الايديولوجية العربية (علال الفاسي ـ عبد الله ابراهيم) الى الاسلام والتيارات الايديولوجية (دكتور المهدي بن عبود ـ محمد الراضي) الى (القومية والاممية) و (الماركسية والرجعية) الخ .

ثم وصل الشاعر العربي عبدالوهاب البياتي الى المغرب بدعوة من اتحاد الكتاب المغاربة . وبينما كانت فروع الاتحاد في طنجة ومراكش وفاس والدار البيضاء تسمع فقط خبر المناظرة صامتة ، اذا هي الان تتحرك وتجري اتصالات حتى لايقع « احتكار » الشاعر البياتي لمدينة الرباط وحدها . وفعلا فقد تحرك الاستاذ البياتي يمينا الى فاس ومكناس وطنجة ، ثم يسارا الى الدار البيضاء ومراكش . وشهدت هذه المدن مايمكن تسميته بالمهرجان ، اذ ان حضور البياتي كان يبدو لهم أحيانا تحديا كبيرا ، فالسلطات المحلية في بعض الجهات كانت تنظر بغير قليل من الاستياء الى هذه المظاهرات الفكرية ، بل ان سلطات مدينة مراكش وضعت كثيرا من العراقيل ضد اجتماع البياتي بمفتي المدينة ، لكن النتيجة كانت افضل ، لان الاجتماع تم ، واعطته صفة « السرية » هالة خاصة .

ومع هذين الحدثين جاءت مجلة ٢٠٠٠ (الفين) ، تستقطب العدد الكبير من الكتاب الشباب الذين ضاقوا بوصاية الفكر الرجعية، وهي مجلة أحدث مجرد خبر صدورها ، وكذا بيانها العام الذي وزع في كل أنحاء المغرب ، ردود فعل مختلفة ، مقنعة أحيانا وسافرة احيانا اخرى . وقد أوضحت المجلة في عددها الاول خطها العام ، فهي تأتي «لترفض التزييف الذي ملأ حياتنا ، ولترفض الفكر الرجعي وأوصياءه»

وهي تأتي « من أجل ايجاد أرضية صميمة » وهي تأتي لتؤكد ان« الارض التي يقف فوقها الانسان البسيط متحررة ومستقبلية وذات أفق متسع فاهم مفتوح لكل الابداعات الانسانية » ، ثم انها اخيرا اذ تقرر الوقوف من التراث ككل موقفا نقديا تقرر « ان المبدع يتخطى التراث ولا يفرط فيه » .

وبذلك يطل عام ١٩٧٠ على المغرب ، ليشهد انعطافا جديا في حياته الثقافية والفكرية ، بعيدا عن « الانغلاق » و « الجمود » اللذين طبعا كل ماضيه .

(م)

من أسرة مجلة ٢٠٠٠ (الفين)

اذاعت اسرة مجلة ٢٠٠٠ البيان التالي :

نحس اليوم ، اكثر من كل الايام الاخرى القديمة ، اننا غرباء. تأتي مجلة (٢٠٠٠)من اجل ان يلتقي كل الغرباء في بيت واحد يضعون له ديكوره بانفسهم يختارون له لونه بانفسهم . لا أحد يفرض عليهم من الخارج ذوقه .

لكن هذه الغربة لاتعني الانفصال بقدر ما تعني الرفض . ان غربتنا ايجابية . انها ترفض :

ـ التزييف الذي ملأ حياتنا كناس يعيشون في المغرب ، يعيشون في الوطن العربي ، يعيشون في الدنيا الثالثة ، كناس يعيشون في العالم .

انها ترفض : المجاملات المتبادلة ، التي تصنع كل هذا الوجود المزيف المتحكم .

ـ الثقافة الرجعية ، والفكر الرجعي المنغلق وتكتلانهما ،والحاكمين باسمهما ، الذين يحاولون ان يصبغوا كل حياتنا بلون واحد ، هو لون جامد تقليدي متخلف وضد الحياة .

ولان عالمنا اليوم ، هنا ، هو واقع عمليا تحت سيطرة الفكر الرجعي ، والزيف والتسلط ، فان كثيرا منا يحس الغربة ، يحس ان اخرين يخنقون صوته . لذلك نعلن عن اعتزامنا اصدار مجلة(الفين) ليس كشكل نهائي من اشكال الرفض، بل كمنطلق وكبداية لبحث جادعن شكل عملي للرفض .

ولان غربتنا ايجابية ، فهي لاتكتفي بالرفض السلبي العدمي ، انها تعلن ميلاد جيل اخر بمفهوم مغاير للحياة ، وللثقافة وللفكر . تعلن ميلاد (اطفال) اكبر من ان يظلوا تحت وصاية الفكر الرجعي . وتعلن هذه (الغربة) انها تعرف طريقها بدءا ، فهي تريد ايجاد ارضية صميمة . هي تؤمن ان اعماق هذا الانسان هنا ، متحررة في اصالتها متحررة في ايمانها ، ولذلك هي تبحث داخل صدق الانسان المغربي وصفائه واصالته ، بعيدا عن كل وصاية .

وتعلن هذه الغربة اخيرا . ان الارض التي يقف فوقها الانسان البسيط متحررة ومستقبلية وذات افق متسع فاهم مفتوح لكل الابداعات الانسانية .

وليس ضروريا ان تكون مجلة (٢٠٠٠) معبرة عن وجهة نظر معينة ، عن تيار ، لكن اسرتها تنجمع اساسا من خلال نقط ارتكاز جوهرية هي رفض الزيف ، والبحث عن الاصالة وعن الصدق والتفاعل مع كل التجارب الانسانية التقدمية الخلاقة .

عن اسرة المجلة **السحيمي الخوري بوخزار**

العراقه

نهضة في المسرح العراقي

بقلم الدكتور علي جواد الطاهر

(١)

سار المسرح العراقي بطيئا بطيئا ، وهو اذ يسير لايدل على شيء ذي بال . وقد يكون عنصر التهريج هو المطلوب الاول لدى المؤلف والممثل والمشاهد ، دون ان تعدم لمحات من الجد بين الحين والحين .

ويكون حقي الشبلي ظاهرة في التاريخ ... لها ايجابها ولها سلبها .

واستمرت المحاولات التي لم تخرج يوما عن دائرة المحاولات ... ولكن لابد للمسرح من ان يتطور لان البلد يتطور ويتقدم ويكثر فيه المثقفون ويزداد اتصاله مباشرة وغير مباشرة بالحضارة المسرحية العالمية.

وتولد فرق تتبعها فرق . واستطاعت فرقة المسرح الفني الحديث ان تكون مرحلة حاسمة ، فيكون لها اعضاء ناضجون مخلصون مجيدون، ويكون لها جمهور يتذوقها ويتذوق المسرح خلالها ـ وليس هذا بالامر الهين .

ودخلت الميدان فرق أخرى ...

(٢)

ويتحدث الناس باعجاب عن مسرحية « المفتاح » ليوسف العاني و « تموز يقرع الناقوس » لعادل كاظم ... ويتحدثون عن اشياء أخرى ... وعن « البيت الجديد » .

ويتصل النتاج ، ويتمنى المرء لو اتسعت له الفرصة ليرى كل ماعرض خلال العامين المنصرمين ـ في الاقل ـ فلابد من ان يكون بين ذلك الكثير مما يستحق الذكر ويستثير الاعجاب .

(٣)

وتهيأ لي ان اشهد ـ فيما شهدت ـ فرقة المسرح الفني الحديث وهي تقدم ثلاث مسرحيات ذات فصل واحد احداها غربية صرف هي « قصة الرجل الذي صار كلبا » وثانيتها ايطالية عن بيراندلو بمهارة نادرة وسميت « البستوكة » ، وثالثتها عراقية عراقية : « ست دراهم » .

واذا كان الفرح بالنجاح كبيرا ، كان باقبال الجمهور عليها اكبر .

(٤)

ثم شهدت للفرقة نفسها « النخلة والجيران » قصة غائب طعمة فرمان (مسرحها وأخرجها قاسم محمد) وقد نالت من الاقبال مافاق المنتظر . وأكبر الظن ان الفرقة نفسها ـ وهي تعرف جيدا رصيدها لدى الجمهور ـ لم تقدر ذلك حق قدره ، فانها اذ أعلنت عنها خصصت لها خمسة عشر يوما (منذ ١٥\١١/٦٩) ، ولكنها لم تلبث ان مددت ومددت فبلغت الشهر وزادت يوما عليه ـ وليس هذا بالامر الهين في التاريخ .

ولو انها استمرت شهرين او اكثر لما تناقص جمهورها ولما خلا كرسي في قاعتها او مكان كرسي في ممراتها . ولو انها تنقلت في المحافظات لرأت من النجاح عجبا .

قد نقول ان مجموع مسيرة « النخلة والجيران » لا يؤلف مسرحية متماسكة الفصول والمشاهد . وليكن ، ولكنك لاتستطيع ان تقول انها لم تنجح وان المشاهدين برموا بأمر والممثلين قصروا في أداء ...

واذا كانت المرأة العراقية قد خطت خطوات تذكر في التمثيل وانها مع ذلك بقيت احدى المشكلات الآنية في هذا الفن ، فانها في فرقة المسرح الفني الحديث ليست مشكلة ، وان خطواتها واسعة .. وعجيبة أحيانا . ولو كتب لك ان ترى زينب والرماح والزيدي وسليمة خضير ... في« النخلة والجيران » لاستكثرت على نفسك ان تكون في العراق ، ولاستغربت ان تستطيع الممثلة العراقية ان تؤدي مثل هذه الادوار الصعبة اجتماعيا وعلى هذا المستوى من الدقة والجرأة ..

(٥)

ان فرقة المسرح الفني الحديث ـ او فرقة يوسف العاني كما يعرفها الناس ـ مرحلة حاسمة في تاريخ هذا الفن في كثير من الوجوه . وان يوسف العاني حدث مهم في بابه ، وقد يكون اهم

ما فيه انصرافه الكلي وانسجامه التام مع مرونة وتواضع وسعة افق وتضحية ... وقدرة على التطور ـ وذكاء ودهاء ـ من يدري !

وتستعد فرقة المسرح الفني الحديث لاعمال جديدة ... كما تستعد الفرق الاخرى ...

(٦)

ثم شهدت « قصر الشيخ » من تأليف صباح الزيدي واخراج وجيه عبد الغني . وقد دلت المسرحية على تمكن المؤلف العراقي من ان يكون فنانا يطرق موضوعات اجتماعية اوسياسية ويهدف الى اصلاح او ثورة من دون وعظ او خطابة ومن دون تدخل غشيم .. كأن الامور جرت في الحياة كما تجري على المسرح ... والممثلون كانهم الشيخ والسركال والفلاحون والكهوجي ... هم هم ظالمهم ومظلومهم ..

ولو نزه المؤلف لغة الحوار من عدد من الالفاظ البغدادية او الصحفية مما لم يكن من بيئة شخوصه في « العمارة » لحقق درجة اخرى من النجاح .

وقد تقول ان المسرحية ليست عميقة . وليكن ، ولكنها ادت المطلوب منها ، وليست الفلسفة شرطا في المسرح .

(٧)

واذا شئت « الفلسفة » دون ان تكون هذه الفلسفة معماة او ميتافيزيقية ، وشئتها من الحياة والواقع والواقعية دون جفاف ودون افتعال رأيتها عند نور الدين فارس الذي ألف ـ أحدث مألف ـ « الغريب » ومثلتها فرقة مسرح اليوم في ١٩٧٠/٣/٢ باخراج جعفر علي فكانت خطوة في التأليف المسرحي اذ بقيت محافظة على فنيتها ، وانها اذ ارتفعت عن الخطابة والرياضيات لم تقع في الغموض والابهام ولم تجر الفكرة فيها على الحركة والعاطفة .

وذهب المشاهدون في تفسير « الغريب » مذاهب متعددة حتى قال قائل : ليست الغربة في « شدهان » ـ بطل المسرحية ـ ولا في نفسه ولا في فكره ، انه رجل ثابت مقيم ، أليف طبيعي ، انساني ، ومثله ـ ومنه ـ صانع صاحب الفندق وصانع صاحب الفرن والالوف والملايين من الضائعين بسبب طهرهم .

ان الغربة خارج دائرة شدهان وخارج نطاقه ، انها في الاخرين ، في سارق قوت الاخرين ومستغل عرق العاملين ، انها في الظروف الخطأ وفي القوانين التي تحمي الظلم وتتستر عليه .

واذا ، فان التغيير يجب أن يقع على الخارج ، على الشيء الغريب الشاذ ،وان شدهان ـ وأمثال شدهان ـ هم الذين يبينون زيف الشذوذ، ويقوضون دعائمه حينا بالصبر ، وطورا بالتعاون ، وتارة بالتضحية ـ وبالنقاء في كل الاحوال .

وفسر آخر الغربة تفسيرا .. والمخرج تفسيرا .. وشدهان تفسيرا ... وللمؤلف نفسه تفسيره : « ان شدهان دلالة مكثفة ،وتعبير مركز لظاهرة الغربة التي هي بمثابة النتيجة الطبيعية والحتمية للعلاقات السائدة في مجتمع الاستغلال والتباين .. الغربة هي الانفصام عن المجتمع بسبب العلاقات الباطلة التي تسود ذلك المجتمع .. الا انها ليست قدرا أزليا لايمكن الخلاص منه ... »

والاختلاف الجزئي في التفسير من طبيعة الاعمال « الفلسفية »، وهو دليل على مايثيره المؤلف في نفوس المشاهدين من تفكير ونقاش ، وقد يكتشفون مالم يتنبه اليه المؤلف نفسه ... ولكنهم لايختلفون في الكلي ، وفي الدرس الذي تلقيه المسرحية في بيان الحق وفضح الزيف وفي الدعوة الى الثورة الى صف شدهان وجماعة شدهان من ابناء الشعب .

لايمكن ان يختلف المشاهدون في اكبار شدهان ـ هذا الغريب ان شئت ـ واكبار طيبته ووفائه ونفسيته ، واكبار أمثاله من العامة الذين يأنفون الكسب الحرام ويأبون الخضوع للمآرب الرخيصة فيؤلفون بذلك احتجاجا صارخا على الباطل وثورة على الاستغلال .

ان غربة « شدهان » ايجابية ، وهي أسس سليم يرتفع عليه البناء ، وهي حجة دامغة على من يحسبون انفسهم « أشرافا » بيدهم الامر والنهي ولهم البلاد يصولون ويجولون وبيدهم المقاليد يحللون ويحرمون .

وقد يختلف المشاهدون مع المؤلف في هذه الصغيرة او تلك ويلاحظون عليه هذا الامر الجانبي أو ذاك ، ولكنهم لايستطيعون ان يبعدوا في ملاحظاتهم ، ولا يمكن أن يختلفوا في سمو الهدف وسلامة « الكل » ولا في ان « الغريب » مثل عال للنجاح الفني في مذهب الواقعية الاشتراكية في الادب العربي .

(٨)

كتبت « الغريب » وأكثر المسرحيات الاخرى بالعامية العراقية ولا شك في أن هذا يقوي من وقعها لدى مشاهديها العراقيين ، وان من هذه المسرحيات ـ مثل قصر الشيخ ـ ماتكون العامية فيه جزءا لايتجزأ من التأليف والتمثيل والاخراج . ولكن لايستحيل ان تعرض هذه المسرحيات لغير العراقيين اذا ما زود المشاهدون بمفاتيح الاحداث ـ اما يحدث انك تتابع مسرحية في لغة لاتفهمها ولا تعرف منها شيئا ؟

ومن المسرحيات مايمكن ان تنقل الى الفصحى لانها لاتتقيد بالطابع المحلي ولانها مسرحية ـ فكرة ، وربما كان في مقدمة تلك المسرحيات «الغريب» ، حتى قال قائل انها يمكن ان تنقل الى لغة اجنبية دون ان تفقد من قوتها ومن مشاهديها .

(٩)

ويسهم التلفزيون العراقي في نشر الوعي المسرحي بتصويره هذه المسرحيات وتقديمها للناس فيهيىء رؤيتها لمن لم يستطع رؤيتها ، ويهيىء الرؤية الثانية لمن بقي في نفسه شوق ولم تسمح له ظروفه.

وقد تشهد المسرحية على شاشة التلفزيون أكثر من مرة ومرتين فما يتضاءل اهتمامك ولا تفتر رغبتك ... فتدرك ـ بدليل جديد ـ ان الفن المسرحي في العراق قد حقق تقدما ملحوظا وانه ليبذ احيانا هذه المسرحيات المستوردة من اقطار اخرى . وقد يرتفع بك اقتراح الى المسؤولين بان يصدروا جياد المسرحيات المتلفزة على سبيل التبادل او الاهداء بعد تزويدها بمفاتيح التفهيم .

(١٠)

ان جيل البناء المسرحي في العراق جاد في عمله طامح الى كثير من الاشياء وهو لايكتفي بمعهد الفنون الجميلة واكاديمية الفنون ، ولا يكتفي بالعدد الطيب الذي حصل على ثقافته الوطيدة في الغرب والشرق وانما يجد للزيادة كمية وكيفية ، نظريا وعمليا ...

وهو يسعى الان ـ ضمن منهج ما يمكن تحقيقه ـ الى اصدار مجلة فصلية تعكس نشاطه وتنقد آثاره وتنهض بالواجب وتعرب عن الرسالة.

(١١)

هذا ، وما زالت الفرق تستعد لتقديم تمثيلات جديدة ، اثر تمثيليات جديدة منها الموضوع ومنها المترجم ، ومنها العراقي ومنها العربي ومنها الغربي .. ومنها المعرق ـ ولا ادري لم غفلنا عن تعريق مسرحية فرنسية مثل « كنوك » .

الامل كبير في ان يتقدم المسرح العراقي اكثر واكثر ـ انه الان شيء يحسب له الحساب ويجدر بان يدخل الحديث عنه ضمن الحديث عن المسرح العربي في كل مكان : القاهرة ، تونس ... الخ

(١٢)

وبعد

فهذه كلمة عابرة أملاها خاطر مبتهج بما يرى مغتبط بما يسمع ، ولعلها تثير كتابنا للتعريف بمسرحنا الناهض تأليفا وتمثيلا واخراجا ... واعدادا ونقدا ... فنا وتاريخا ... ماله وما عليه .. وكل شيء.

بغداد

علي جواد الطاهر

ج.ع.م.

من مراسل « الآداب » سامي خشبه

رودينسون في القاهرة ، أو :

تبادل المنافع بين الثنائيين !!

***

هذا هو الزائر الفيلسوف او المفكر الثاني الذي يزور القاهرة في غضون شهر واحد او شهرين بدعوة من مجلة « الطليعة القاهرية » تحت شعار اقامة الحوار المفتوح مع ممثلي اتجاهات فكرية مختلفة ومتنوعة والموضوع الاساسي الذي شغل رودينسون في محاضراته في القاهرة هو « الاسلام » : الحضارة الاسلامية ، ودور الاسلام بالذات باعتباره دينا واساسا ايديولوجيا لمؤسسات اجتماعية وسياسية واتجاهات فكرية وفلسفية في تكوين الحضارات والشخصيات القومية للشعوب التي آمنت به .

وفي رسالتنا في شهر فبراير (شباط) الماضي ، وضحنا فهمنا للمحاولة التي بذلها روجيه جارودي ـ الفيلسوف الماركسي . من خلال محاضراته التي القاها في القاهرة ، وقلنا انه كانت لموقفه دلالة ايديولوجية محددة ، او لنقل هدفا ايديولوجيا :: وهو انه كمفكر يعتمد منهج النقد المادي للتاريخ والمجتمع يحاول ان يعمد فهمه الخاص للظواهر التاريخية والحضارية والسياسية العامة التي تشارك الآن في تشكيل صورة العالم السياسية والحضارية وفي تغيير الاوضاع التقليدية لتلك الصورة . جارودي يرى ان تحرر الشرق ادى الى تنشيط امم وقوميات جديدة طرحت حلولا فكرية وسياسية لمشكلاتها الحضارية والاجتماعية والسياسية ـ وهي حلول ذات منحى اشتراكي ولكنها لا تؤصل جذورها في الفلسفة الماركسية بمثل ما فعل الروس والصينيون والاحزاب الشيوعية في الغرب حتى الان . وجارودي يسأل: لماذا حدث ذلك ؟ وما مغزاه التاريخي والسياسي والفلسفي ؟ وما الاضافة الفكرية التي تتضمنها هذه الظاهرة ؟ وهي اضافة يرى جارودي ان لا بد للماركسية من احتوائها والاستفادة منها لكي تظل قادرة على ان تدعو نفسها علم تطور المجتمع الانساني الحقيقي والعلمي، واداة تطويره النظرية ايضا .

وجارودي يطالب الماركسية بذلك ـ ويبذل هو محاولة معروفة في هذا السبيل ـ من خلال موقفه الواضح كمفكر ماركسي يعلن انتماءه المحدد الى حزبه (رغم تطورات وضعه في هذا الحزب) ويعلن في الوقت نفسه وجهة نظره في ضرورة انفتاح الفكر الماركسي ـ بأسسه الاصيلة نفسها ـ على فلسفات واتجاهات سياسية جذبها التطور الاجتماعي والتاريخي في اوروبا الغربية والعالم مرة اخرى الى مركز التأثير والتفاعل ؟ وهو ان فعل ذلك فهو بفعله دون شك ـ مساهمة منه في اثراء الفكر الذي ينتمي اليه اولا ، ثم قياما منه بواجبه كمفكر ومناضل ثوري ازاء الحركة الثورية في بلاده وفي العالم .

وقد كنت اوشك ان ابدأ هذا الحديث بسؤال عن مغزى الاهتمام بالاسلام وبالحضارة الاسلامية في الغرب ، وبين التيارات الفكرية التقدمية والمستنيرة بالذات . ولكن اذا كان هدف جارودي قد اتضح لنا ، فما هو هدف رودينسون الذي لا ينتمي الى حزب ويرفض ان يصنف ضمن تيار فكري ما ؟ في محاضرته الثانية « الماركسية والعالم الاسلامي » تحدث رودينسون عن نفسه ، وسنناقش هنا حديثه بحثا عن جواب لسؤالنا .

قال رودينسون عن نفسه انه ماركسي .ولكنه حاول ان يوضح كيف انه نوع خاص ومتفرد من الماركسيين . بل لقد اوضح بصراحة انه يمتلك لنفسه ماركسية خاصة لا يشاركه فيها أحد (اي انها ماركسية ملاكي كما نقول عن السيارات الخاصة في مصر) . قال مثلا ـ وهو في هذه النقطة محق من وجهة نظرنا او أننا نتفق معه . ان من الماركسيين من يعتقدون ان الماركسية اشبه بآلة حاسبة نضغط على احد ازرارها بحثا عن الحل الماركسي للاسرة ، فتخرج لنا من الناحية الاخرى الاجابة الصحيحة من وجهة نظر الماركسية . وكنا سنعتقد انه يعني ان الماركسية تقدم منهجا علميا للتفكير عن الباحث العلمي ان يستخدمه كأداة للبحث وليس كمصدر للنتائج ، كوسيلة لطرح الاسئلة وصياغة أجوبتها وليس كمورد دائم لاجابات جاهزة . ولكن رودينسون يعني شيئا آخر تماما . انه يعني انه ليست هناك ماركسية واحدة . كل واحد وله ماركسيته ـ وهو نفسه ـ رودينسون يعتقد ان كل هذه الماركسيات شرعية (ربما كان يقصد « صحيحة » والمسؤولية على الترجمة ، والا فمن الذي استنزل القانون الالهي بشرعيتها ؟) ولكن رودينسون يقول « .. ولقد اطرح السؤال حول اي الماركسيات هو الصحيح . لانني لا أعتقد ان هناك ماركسية صحيحة » ونكتفي نحن اولا بالتساؤل : فما قول السيد رودينسون في ماركسيته هو ،صحيحة ام مخطئة ؟ . ثم نكتفي ثانيا بمقتطف نأخذه من مقال الاستاذ السيد يس في مجلة « الكاتب » في فبراير ١٩٧٠ القاهرية تعليقا على المحاضرة نفسها : « فقضية مثل قضية انقسام الماركسية من القضايا التي يمكن ان يثور بصددها كثير من التساؤلات النقاش ، لعل اهمها: هل هذا الانقسام يتعلق بالاسس الرئيسية للنظرية الماركسية التي تعد بمثابة الركائز التي تنهض عليها كل التحليلات الجزئية التي تتضمنها ، أم هو ـ مع التسليم بصحة هذه الاسس ـ يتعلق بالاختلافات ـ التي لا بد ان تحدث ـ في تفسير بعض الظواهر او المواقف او الحالات ؟ » .

الى هنا ونختلف مع الاستاذ السيد يس أيضا ، فهو يمعن في « احراجه » للبروفيسور رودينسون حين يمضي فيطالبه بالتعريف « بالمذاهب » الماركسية المتعددة على سبيل الحصر ، والتعريف باوجه الاختلافات بينها » . نختلف مع الاستاذ يس لان محاضرة رودينسون لم تكن تهدف الى معالجة هذا الموضوع اساسا فيما يبدو ، انما كانت تنوي ان تتحدث عن الدور الذي يمكن ان تساهم به الفلسفة الماركسية في دراسة العالم الاسلامي . حقا انه كان على الاستاذ المحاضر ان يحدد فهمه للماركسية ـ كما يراها وكما حدث فعلا ـ ومن الواضح ان المحاضر تطرق الى موضوع آخر عالجه بنزق وخفة شديدة غير جديرة بمفكر وعالم (وهو موضوع انقسام الماركسية ، وشرعية انقساماتها وعدم صحة اي من هذه الانقسامات في الوقت نفسه) كأنما يكتفي بأن يعلن موافقته على ان ينقسم الماركسيون كما يشاءون، وعلى ان يخطئوا .. انه بمنحهم غفرانه لاخطائهم .. يمنحهم فقط حرية الخطأ !.

والاستاذ رودينسون يوافق على ان يمنح صفة الماركسية لمركبات عديدة من الافكار ـ لم يقل لنا مواصفاتها ولا كيفية اكتسابها ذلك الانتماء الفلسفي ، لم يقل لنا مثلا : أن ما يسمى ماركسيا هو ما يطبق منهج التفكير المادي الجدلي بنفس العمق والنفاذ والشمول الذي طبق به المادي الجدلي الاول . وانه ليس مهما ان يكون ماركس نفسه قد اورد نصا او خط حرفا في الموضوع محل البحث والدراسة اولم يفكر فيه أصلا ، وانما المهم هو ان يلتزم المفكر او الباحث ـ لكي يكون ماركسيا ـ بحركة الظاهرة التي يدرسها ومركباتها وقوانينها الداخلية الخاصة وارتباطاتها بالظواهر المحيطة بها وعلاقتها بالحركة الاكبر او الظاهرة الاشمل التي تتضمنها .. الخ .. الخ .وان هذه « المواصفات » ،او هذه الشروط فقط هي ما تمنح للباحث او للمفكر الحق في ان يدعى باحثا علميا ، ماديا جدليا ، حتى ولو لم

يذكـر اسم ماركس ، وحتى وان لم يستشهد بنص واحـد من كتابـات ماركس او انجلز ، او ... اي واحد من تلك السلالة !

ان مـا يطلق عليه رودينسون صفة « ماركس » ،هو اي مركب فكري يداخله اي عنصر « ماركسي » . وبصرف النظر عن هذا التجريد البالغ الذي لا يضع اعتبارا لوحدة النظرة الفلسفية التي يعترف بنفسه بانها « شموليـة » في حالة « المركب الماركسي » .. (ولا نفهم حقـا كيف يكون المركب الفكري شموليـا وغير موحد النظرة والاساسي النظري في آن واحـد ؟) .. بصرف النظـر عن اساسها النظري ، وبصرف النظر عن رؤيتها الى موضوعات اساسية في الفلسفة الماركسية (هكذا فنوشك ان نساق الى مناقشة تقوم على نفس الاساس الذي طرحه رودينسون)، اذ يريد المستشرق وعالم الاجتمـاع الفرنسي ان يسبغ صفـة الماركسية على كل من اقتنع مثلا بفكرة العلاقـة الجدلية بين البناء التحتي والبناء الفوقي للمجتمع ،حتى ولو كـان يبشر بـان اصلاح التعليم ، ووسائـل الاعلام يمكن ان يؤديـا الى قيام مجتمع اشتراكي . ويصل رودينسون الى ان ... « كل هذه الحركات الايديولوجية (اي المركبـات الفكريـة) لديها رصيد من الافكار الشمولية تحوي شعارات،وكذلك مواقف وقواعد للسلوك العملي .. الخ وكل ذلك يتحد ، او بالاحرى يقدم كوحـدة او كمجموع له وحدة متماسكة » . فاذا عدنـا الـى التساؤل عـن نـوع هذه الوحدة التي يمكـن ان تقوم بيـن جزئيـات ملفقـة (او منتقاة) تكـون فيمـا بينها « مركبـا » فكريـا ، فوجئنا برودينسون يسحب ظلا من الشك العلمي على كل الذين « يعتقدون اننا لا نستطيع رفع اي جزء صغير منها ، ففي ذلك ضياع الكل ، والكل متحد بالضرورة » . وقد يكـون للاستاذ رودينسون الحق في نشككه لو ان نظرته الى هؤلاء الذين يعتقدون ان تماسك النظرة الكليـة ووحدة مركباتهم الفكريـة كانت نظرة صائبة . اننا نرى المسألة على النحو التالي :

١ ـ رودينسون يرى ان لكل واحد ماركسيته الخاصة .

٢ ـ كل من هذه الماركسيات مركب فكري له وحدة متماسكـة ويتصف بالشموليـة .

٣ ـ ليس من حق هذا المركب الشمولي ان يظل ثابتا ولا ان يرفض رفع اي جزء منه او استبداله .

ونسأل : أين وجد رودينسون هذا النمط الغريب من الماركسيين ؟

ونسأل أيضا : أين يكمن الخطأ الماركسي عن وجهـة نظره ؟ فـي تحليل « الظاهرة الواقعية » من وجهـة نظر المادية الجدلية ، أم فـي الاصرار على تحليل بعينه والثبات عليه مهمـا طرأ على الظاهرة الواقعية من تغيـرات ؟ في الحالة الثانية لن يكون التحليل ماركسيا ، لانـه سيرفض النظر الى الواقع ودراسة تغيراته وحقيقته ، والحالة الاولـى ليست سوى « شروع » في فهم الواقع والنفاذ بالوعي العلمي الى داخله لاضاءته واقامة امكانية السيطرة على « عملية » تغيره من خلال العمل الانساني وحـده .

ورغم كل الخلط الغريب الذي وقع فيه رودينسون حين حاول ان يقدم الينـا صورة نظريـة ومجردة عن ماركسيته ، فانه حين تحدث عن مشكلـة « الايديولوجية » اصبح حقا « ماركسيا تقليديا » وهذا حكـم نـراه ضده وليس فى صالحه ، فقـد كـان الاسلم له ان يكون متمسكا، بدلا من ان يكـون مجرد انتقائي او صاحب منهج مهجن ومخلوط .

فرغم العبارات الاولى ذات المعاني الزئبقيـة التي لا تكاد تمسك من مثل : « الايديولوجية تبني حول اختبار او اكثر ، اختبارات وجودية »» هذه العبارات التي تتضمـن موقفـا ينفي موقفه هو المعروف بصفتـه عالم اجتماع يؤمن بالاساس الاجتماعي للافكار وللمعرفة : يؤمن بقيـام البناء الفوقي للمجتمع على اساس من بناء تحتي يفرزه ويعكسه وان لم يتماثل معه او يتطابق،وهي العبارات التي توحي بانه يخرج الايديولوجية عن اطار البناء الفوقي للمجتمع لكي يضعها في منطقة « انعدام » الوزن الاجتماعي » ، منطقـة اللاتأثر بالواقع الاجتماعي وبالبناء التحتي السائد في المجتمع ، رغم كل هذا الا انه يصل الى القول بوجود « نواة ثابتة » او « جسم مقدس » وهذاهو التعبير الذي استخدمته ترجمة مجلـة « الطليعة » :« هناك نصوص الاساس التي نرجع اليها » ، وهـذه النصوص تبقى على حالهـا في رأيه رغم انه : « تبدأ عملية تطور كاملة تعدل وتفسر وتعيد التفسير وتحيي ايديولوجية المنطلق .. » . هاهنا يعود ردوبنسون كما قلت منذ قليل ماركسيا تقليديا : يؤمن بوجود نواة ثابتة من النصوص (وانا أزعم انه ربما كان يقصد القوانين الستـة المشهورة للمادية الجدلية)، الامر الذي يوحي بانه لا يرى الفارق بيـن « الجسم المقدس » في ايديولوجية مثالية ، متعالية عن الواقع ،منزلة، وبين ايديولوجيـة علميـة نبعت بتأثير ومن خلال كشوف علمية رئيسية حاسمة ، وأصرت على ان تربط نفسهـا بتطور ونمو معرفة الانسـان بالكـون وبالمجتمع وبنفسه : إصرت على ان تربط نفسها بالعلم ذاتـه، ونفت من الاصل انفصال الايديولوجية عن المعرفة ، وبالتالي فقد رفضت ان يكـون لهـا « جسم مقدس » او« نصوص اساس » ، واكتفت فقط بـان تكـون منهج تفكير قابل للتعديل لكي يصبح اكثر دقة وكفاءة كلمـا تنوعت خبرات الناس ومعارفهم كميا ، وكلمـا وقع تبدل كيفـي فـي نظرتهم الى الكـون او المجتمع بناء على كشف او مجموعـة من الكشوف العلمية الرئيسية ،بل اننا نزعـم ان رودينسون لم ير الفـارق بيـن ايديولوجيـة مثاليـة ذات مشغوليـة سياسية وبين ايديولوجية مثالية اخرى لا تشغل بالظاهرة السياسية الا اعتباطا او بصورة عارضة . او غيـر مباشرة . لم تكف « النواة الثابتة » في ايديولوجية الكنيسـة الكاثوليكيـة مثـلا عـن التغير تبعـا لنمـو وتغير وضمور مصالح هذه الكنيسة السياسية وارتباطاتها وثقلهـا السياسيين . كـان البابـا هو خليفـة الرب في الارض وهو الذي يمنح السلطة للملوك والاباطرة تنازلا منه واستخداما لهم . وكانت هذه صورة وافيـة بلغـت ذروتهـا من الحملات الصليبيـة الكبيرة الاولى . وحينمـا ابتعدت هذه الصورة عن

في انتظار طائر الرعد

لشاعر المقاومـة

سميح القاسم

٢٠٠ ق . ل

صدر حديثا

الواقع واستقلت الدول ـ او استقل الملوك ـ عن سيطرة السلطة الزمنية للبابا ، خفضت الكنيسة من سلطة رئيسها الروحية نفسها ، ولم يعد بوسع البابا ان يبيع السماء ولا الغفران حينما لم يعد من حقه ان يضع التاج على رأس الملك أو أن يحرمه من النفوذ السياسي .

ليس من الممكن لايديولوجية مثالية ان تتحول الى ايديولوجية مادية . ولكن رودينسون يرى انه من الممكن للمؤمن (وهو يستخدم كلمة « المؤمن » هنا كمعادل لمعنى الفكر الغيبي او المثالية الغيبية) ان يسلم بسيطرة القوانين العلمية على العالم الاجتماعي ، بمثل ما يسلم بسيطرتها على العالم الفيزيقي ، دون ان ينفي هذا عنه ايمانه، او التزامه بفكر مثالي غيبي . وكان رودينسون قد قفز هنا من موضوع الايديولوجية الى موضوع علم الاجتماع الماركسي في محاولة لتوضيح ان لهذا العلم معنى واحدا هو : استبعاد التصورات التي تعتبر الافكار غير مشروطة وان لها تاريخا مستقلا ، واستبعاد التصور الذي يعتقد ان « الناس يتشكلون بالافكار فقط او يتصرفون بناء على الايديولوجيات التي يعتنقونها دون ان تؤثر على هذه الافكار اوضاع حياتهم العملية » . ورغم ما يبدو على هذا الكلام من انه ينتمي الى علم اجتماع المعرفة ـ كما اوضح ذلك الاستاذ السيد يس في مقاله المشار اليه ، فاننا نعتقد ان لهذا الكلام وجهه الآخر ، الوجه المتعلق ايضا بقضية الايديولوجية .

ان المفكر المثالي الغيبي الذي يشرع في الاقتناع بخضوع الافكار للواقع الاجتماعي ولحياة الناس العملية فانما يشرع في الانفصال عن غيبيته المثالية لانه سرعان ما سيصل الى محاولة لتطبيق نفس التصور التاريخي والاجتماعي عن الافكار على افكار بعينها متعلقة بالعالم الغيبي وبما وراء الطبيعة . وهو في هذه اللحظة اما ان يكمل انفصاله عن غيبيته المثالية ، واما ان يحاول التوفيق بين النزعتين المثالية والعلمية ، واما ان ينكص مستديرا الى الخلف ليعود الى نقطة انطلاقه. ونحن نزعم ان رودينسون كان يحاول اغراءنا بالتوفيق بين النزعتين، كان يحاول اقناعنا بان نحصل على مباهج النزعتين : ان نحلل الواقع الاجتماعي علميا وان نرجع الافكار الى اصولها التاريخية والاجتماعية ، وان نظل في نفس الوقت مؤمنين بان القوانين العلمية لتطور المجتمع وارتباط تاريخ الافكار بتاريخ ذلك التطور ان هي الا نوع من « العلل الثانوية » التي نخضع ما تزال للعلة الاولى .

***

ما الذي كان يقصده رودينسون اذن ؟

ان يبرر لنا عدم تماسك نظرته الفلسفية وعدم وضوح انتمائه ؟ أم ان يعثر لنفسه على دعم شرقي لموقفه الفلسفي الثنائي الذي يصر على أن يسميه موقفا ماركسيا ؟ ام أن يساعدنا في العثور على ما يبرر ثنائيتنا التي نطمح جاهدين الى ان نفلسفها لكي نصوغ نظرية تسمح في نفس الوقت بامتزاج العلم والخرافة ؟.

القاهرة — سامي خشبة

بدر شاكر السياب

قصائد

اختارها وقدم لها

أدونيس

طبعة ثانية

صدرت حديثا

هكذا انتصر «الفيتكونغ»

بقلم

رمزي نشاطي

« فقد » « الفيتكونغ» منذ ان دخل في حرب المواجهة المباشرة مع اميركا ما يقرب من نصف مليون مقاتل ، خلاف الجرحى والاسرى ولا سيما الذين تلفت اعصابهم وانهال عليهم اليأس .. ورغم ذلك ، صمدت الجبهة ، وواصلت الكفاح بعزم اكبر ، وبقدرة دفاعية أقوى حتى استطاعت أن توجه ضرباتها المتتالية في قلب العاصمة سايغون التي تنتظر الآن هجوما كاسحا عليها ...

« لقد استطاعت الجبهة ان تقود كفاح الجماهير الشعبية وان تصمد ببطولة امام اكبر واقوى دولة في العالم .. وقد اقتنع العالم كله بشرعيتها ولم يبق الآن سوى الاعتراف بها رسميا ، ومن جانب الولايات المتحدة اولا .. وهكذا انتصر الفيتكونغ » .

كتاب نحتاج اليه الآن ، لانه يحمل لنا دروسا كثيرة في نضالنا وكفاحنا لاسترداد ارضنا المسلوبة ..

٢٥٠ ق٠ ل — صدر حديثا